

## توجهات ودوافع الشباب في بغداد بعد سقوط نظام صدام حسين

آنيا وولنبرج

### المقدمة

نيابة عن مؤسسة فريدريتش إيبيرت، تتولى شركة سترميمينستر (streamminister) منذ أبريل 2004 تنفيذ مشروعات تعاون إعلامي مع شركاء محليين في العراق. وحتى الآن تم بالفعل تشغيل ثلاثة مشروعات قامت فرق ألمانية-عراقية من خلالها بإنتاج وبث برامج إذاعية تغطي المسائل السياسية والثقافية. وتجدر الإشارة إلى أن الشركاء والفريق المستهدف من البرامج هم من الشباب في العراق الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و35 سنة. ويتمثل الهدف طويل الأجل لهذا التعاون في إرساء واستمرار خدمات إعلامية مشاركة وحيادية في العراق، إلى جانب الارتقاء بمستوى الكفاءة والعمل بالشبكات على صعيد الصحفيين العراقيين. وتتولى وزارة الخارجية الألمانية تمويل جميع المشروعات.

ومن أجل المضي إلى شوط أبعد من مجرد التركيز على هذه المشروعات وتناول مسألة قيم ودوافع ومواقف الشباب في العراق، شرعت سترميمينستر (streamminister) في تحليل 28 مقابلة تمت في إطار المشروع الإذاعي الأول، تليفون اف.إم/Telephone FM، لمحاولة التعرف على التأثيرات والقيود التي شكلت روايات الأفراد وسيهرم الحياتية بعد سقوط صدام حسين. وقد تم عرض النتائج في 2005/6/20 أثناء مؤتمر "تغير القيم بين الشباب: تجارب ألمانيا، ومصر والعالم العربي" (تمت الدعوة إليه بواسطة معهد جوتة ومؤسسة كونراد أديناور و Zentrum Moderner Orient)، وهي النتائج التي نوردتها في هذا الملخص.

### الوسائل التجريبية وموضوع البحث

#### البرنامج الإذاعي "Telephone FM"

"Telephone FM" كان عبارة عن برنامج إذاعي باللغة العربية معد لمستمعين تتراوح أعمارهم بين 18 و35 سنة. وقد أعد جزء منه في برلين والجزء الآخر في بغداد بواسطة فريق عربي-ألماني، وبث من خلال إذاعة الشباب في بغداد على مدى فترة امتدت ثلاثة أشهر ونصف خلال صيف وخريف عام 2004.

وركزت الحلقات في مجموعها (70 حلقة) على مشاغل، مثل الكيفية التي يتصور بها الناس حياتهم في الحاضر والمستقبل، والأهداف التي يسعون إلى تحقيقها على الصعيد الشخصي والمهني، وماهية مشروعات الشباب في بغداد بعد مرور ثمانية عشر شهرا على سقوط نظام صدام حسين. وقد تمثل أحد أهداف المشروع في بلورة صورة شاملة لمواقف واهتمامات وأنشطة بل

وأيضاً مخاوف وأمان المستمعين. والواقع أن النتيجة التي ظهرت من خلال هذا المشروع تمثلت في برنامج عام من العرض والأفكار المستلهمة والمناقشات المهمة.

وقد استهلّت شركة ستريممينستر (streamminister) المشروع في وقت مبكر من عام 2004، وكان الهدف الأول إنتاج وبث برنامج إذاعي. ولكن إزاء تدهور الوضع الأمني اضطرت الشركة إلى التراجع عن الأستمرار في خطط بث البرنامج هناك. وبدلاً من ذلك تمت دعوة الصحفيين العراقيين ومقدمي البرامج للحضور إلى برلين لإذاعة البرنامج. وقد حضر إلى برلين أربعة عراقيين من أجل مرحلتى بث حيث الاشتراك مع زملاء ألمان وعرب، أعدوا وصمموا وأنتجوا البرنامج. وقد بث البرنامج بعد ذلك لمدة 90 دقيقة يومياً عبر محطة إذاعة FM وأدرج في الجدول اليومي للإذاعة.

والمشروع بالكامل تموله وزارة الخارجية الألمانية وتدعمه مؤسسة فريدريش إيبيرت. ومنذ ذلك التاريخ توالى عدد من المشروعات، مثل:

- برنامج إذاعي لرصد العملية السياسية في العراق، مثل الانتخابات التي كان من المزمع إجراؤها في شهر يناير والعملية الدستورية الجارية ( من ديسمبر 2004 حتى ديسمبر 2005).
- برنامج عن المسائل الثقافية خطط لبثه في حريف 2005 ويتضمن تقارير عن حالة الفن والثقافة المعاصرين في الدول المجاورة للعراق ( اسمه: " العراق 360 درجة ").
- موقع على الانترنت يعرض المنتدى النقاشي للمجتمع المدني حول العملية السياسية في العراق، وبوجه خاص، صياغة مسودة الدستور العراقي الجديد ([www.niqash.org](http://www.niqash.org))

### المقابلات والأشخاص الذين تمت مقابلتهم

في أثناء بث برامج Telephone FM، أجرى فريق التحرير ما يزيد على 100 مقابلة حول موضوعات متنوعة، وعلى الأخص مع عناصر من الشباب العراقي المقيمة في العراق. وهذه المقابلات تمت إما بواسطة مراسلين في بغداد وإما عبر الهاتف بواسطة الصحفيين العراقيين في ستوديو برلين (اسمه الآن Telephone FM). أما عملية البحث عن الأشخاص لعقد مقابلات معهم، فقد تولى مسئوليتها أعضاء الفريق بالكامل ومعهم شركاء المشروع المساندين للبحث. وقد كان هناك اهتمام خاص بالأشخاص المنبثقين عن فئتين من الشعب: الخبراء في موضوع معين — مثل الإعلام، والتعليم، والثقافة... الخ، والشباب المعنيين بمشروعات أو موضوعات ذات الأهمية ويرغبون في التحدث عن أنفسهم وعملهم.

ومن أجل الحصول على بيانات صحيحة وذات هدف بشأن تقويم المشروع من خلال مواقف وآراء الذين شملتهم المقابلات، تم ترجمة وتقويم سلسلة من المقابلات وأجرى عدد إضافي من المقابلات المتعمقة مع شركاء المشروع العراقي في برلين. ونورد فيما يلي بعض نتائج هذا التقويم الموسع والتي تستند إلى مقابلات أجريت مع 28 عراقياً تتراوح أعمارهم بين 18 و 35 سنة ويعيشون في بغداد. وتضمنت المادة:

- 13 مقابلة قصيرة مدة كل منها 10 دقائق.
- 12 مقابلة طويلة (مدة كل منها حوالي 20 دقيقة).
- 3 مناقشات استمرت كل منها ما يقرب من الساعتين.

- وقد ركز البحث على مسألة كيفية بناء السيرة الحياتية والعوامل التي تؤثر على هذه العملية، مع الاهتمام بوجه خاص بالإجابات على الأسئلة التالية:
- ما هي الأعمال التي يقوم بها الأشخاص الذين تمت مقابلتهم وما هي الكيفية التي يؤدون بها هذه الأعمال؟
  - ما هي الدوافع والاهتمامات التي تلعب دوراً في عملهم؟
  - ما مدى أهمية العالم الخارجى في عملهم؟
  - ما هو تقييمهم لمستقبل العراق باعتباره عنصراً مهماً له نصيب في خطط مستقبلهم الشخصي؟

## الإجراءات

وعلى الصعيد المنهجي، أجرى التحليل في شكل عملية استرجاعية: فعلى عكس المعيار البحثي الذي بموجبه يبدأ الباحث بالسؤال البحثي الذي تتولد عنه البيانات ذات الصلة، وجدنا أنفسنا نجابه أولاً البيانات قبل تحديد مسائل بعينها. ولتوضيح المشاغل للمعنيين، تم تقسيم مراحل المقابلات إلى بنود " الوصف " و " الشرح " و " التقويم " ، بما سمح للفريق بعد ذلك، كخطوة ثانية، بتحديد الموضوعات — ما هي المسائل التي تم وصفها وشرحها وتقويمها؟ وهو ما قاد بالتالى إلى الأسئلة الرئيسية المشار إليها سلفاً.

وعلى أساس هذه الأسئلة يصبح من الممكن تكوين مجموعة مهيكلية من الإجابات يتم بعد ذلك تحليلها من حيث أوجه التشابه والاختلافات والنماذج ضمن الأجوبة. وكتيجة لهذه الإجراءات تتم صياغة هذه الأبحاث والرسائل والتفسيرات بصورة مبدئية توظف لعرضها وتوضيحها من خلال فقرات من المقابلات في القسم 4.

وبانتهاج هذه الطريقة نكون قد اتبعنا منهج مارينيتج في تحليل المضمون (1990)، منهج نوعى يهدف إلى تحديد النماذج الذاتية للعمل وإعمال المنطق في محاولة لجعل العمل قابلاً للفهم. وهذه المرحلة من البحث لا تستهدف ضمان أن تكون النتائج لها صفة العمومية أو ممثلة للمجموعة ككل. (بخصوص صحة النتائج، انظر 1/5)

## الخلفية الاجتماعية

قبل حرب الخليج مباشرة، صنفت الأمم المتحدة العراق كدولة ذات دخل متوسط مرتفع تميزه بنية اجتماعية حديثة. ومقارنة بالدول العربية الأخرى، يلعب الدين دوراً هامشياً في الحياة العامة بالعراق وينظر إليه على أنه من الأمور الخاصة. وفيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين فإنها بدت متقدمة نسبياً في قطاعات التدريب والعمل، بينما أحاطت بمستوى التعليم العام سمعة ممتازة في العالم العربي. والصورة الذاتية للعراقي تظل مطبوعة حتى اليوم بمفهوم الانتماء إلى طائفة التحديث والتطور في العالم العربي. ومع ذلك فإن السياسة الداخلية والخارجية العدوانية والشمولية التي اتبعتها صدام حسين فضلاً عن الحظر الذي فرض على العراق منذ 1990، كان من شأنهما في الواقع أن قوضا البداية الناجحة للتحديث والمستوى المرتفع للتنمية الثقافية الذى نعمت به البلاد في الماضي. وفي حقيقة الأمر فإن عقد التسعينيات كان بمثابة خطوة للوراء إلى

زمن ما قبل التحديث وعودة إلى قيم ذلك الزمان، وهو ما تمثل في النفوذ الكبير الذي اكتسبته القبائل والشيوخ أيضاً، والأهمية المتنامية للدين، كما أن الحياة اليومية بات يسودها البحث من الإمدادات التموينية والمجتمع طغت عليه صبغة الظلم الاجتماعي (على 2003).

### الظروف السياسية

بشكل تقريبي يمكن القول بأن الأشخاص الذين شملتهم المقابلات ولدوا في السبعينيات بينما كان حزب البعث الاشتراكي يتولى الحكم بالفعل. وفي 1979 تولى صدام حسين رئاسة العراق خلفاً لأحمد حسن البكر. والبيئة السياسية التي نشأ هذا الجيل في ظلها اتصفت بالدكتاتورية والشمولية: رغم التحديث في السبعينيات المشار إليه آنفاً، لم تتح أمام المجتمع المدني أى فرص للانخراط في المشاركة السياسية، كما لم تكن هناك حرية رأى أو صحافة أو إعلام. والعنف كان هو الأداة السائدة والمهيمنة لفرض السلطة السياسية، ودأب النظام على اضطهاد بل وقتل أعداد كبيرة من الأكراد والشيعية والشيوعيين. أضف إلى ذلك أن السكان بصفة عامة خضعوا لرقابة من قبل عدد من الأجهزة السرية والأمنية وتعرضوا باستمرار لعمليات غسيل مخ بواسطة الآلية الدعائية للنظام (سلاجلية وفاروق-سلاجلية، 1990). ومن هذا المنطلق، خضع إنتاج وسائل الإعلام العراقية لهيمنة عدي، ابن صدام حسين الذي تولى أيضاً رئاسة اتحاد الصحفيين العراقيين. وفرض الحظر على القنوات الفضائية التليفزيونية وشبكة الانترنت. وعلى عكس الأهداف المنشودة، فإن العقوبات التي فرضت على العراق بموجب القرار رقم 661 الصادر عن مجلس الأمن الدولي عام 1990 لم يترتب عليها تغيير في علاقات القوى داخل العراق، بل أنها بدلاً من ذلك دعمت نظام صدام حسين وزادته رسوخاً. وبصفتها الموزع الرئيسى للمواد الغذائية والأدوية، فإن الحكومة تسلحت بالمزيد من الآليات الرقابية على الشعب، ليس هذا فقط وإنما استعادت شرعيتها داخل العراق.

### التنمية الاقتصادية

في تلك الحقبة، اتسمت التنمية الاقتصادية بأقصى قدر من التناقضات وبدوران تقدمى هبوطاً. وفي خلال السبعينيات، وجد الاقتصاد المركزى نفسه في منتصف حركة تصاعدية؛ فإنتاج البترول الذي تم تأميمه في وقت مبكر من عقد السبعينيات حقق زيادة بلغت حوالى ثلاثة أمثال في الفترة 1965-1979، إلى جانب ارتفاع متوازى في الأسعار النفطية. وفي خلال الفترة ما بين 1973 و1979 وحدها، ارتفعت عائدات البترول بمقدار عشرة أمثال (سلاجلية وفاروق-سلاجلية). وقد بدأ التراجع الاقتصادى في منتصف الثمانينيات تحت وطأة التكلفة المتصاعدة للحرب مع إيران و ما أحدثته من خسائر. وفي الأجل المتوسط، نتج عن الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة أن صار أغلب العراقيين يعيشون تحت خط الفقر، مما تسبب في وقوع أضرار بالغة نالت من سلامة النسيج الاجتماعي على صعيد مجالات الصحة والثقافة والحياة الاجتماعية. ومنذ 1990 استمرت الزيادة في معدلات وفيات الأطفال (4000-5000 شهرياً) وحالات سوء التغذية واللويميا والإصابة بمرض السرطان (العللى، 2003).

## الحياة التعليمية والمهنية

منذ أن بدأت الأزمة الاقتصادية، اتخذت الأجور المدفوعة في مؤسسات الدولة والمصانع طابعاً رمزياً بشكل متزايد؛ فعلى سبيل المثال وصل الأجر الشهري للمعلم في منتصف التسعينيات إلى ما بين 5 و10 دولارات، وهو ما يعد ضمن الأسباب وراء انعدام العلاقة تقريباً بين تعليم وتدريب الأشخاص والعمل الذي يمارسونه بصفة دائمة وتكاليف معيشتهم. وباتت الأسر العادية تسد احتياجاتها عن طريق صرف بطاقات التموين وممارسة التجارة عبر الأسواق غير الرسمية. ورغم أن خدمة التعليم الإلزامي تم إدخالها في العراق عام 1976، فإن المسح الإحصائي الذي أجرته وزارة التخطيط في صيف 2004 بين أن 20% من شباب العراقيين تحت سن الـ 24 لم يتلقوا أى تعليم مدرسي على الإطلاق، و15% لم يتموا مرحلة التعليم الأساسي، وأن 11% فقط استكملوا دراستهم في مدارس التعليم الثانوي.<sup>2</sup> وبعد النجاح الأولي الذي تحقق في مكافحة الأمية وقت إستحداث نظام التعليم الإلزامي، عاد معدل الأمية وسجل في 2003 ارتفاعاً إلى 30% بين الذكور و55% بين الإناث (اليونسكو، 2003).

## حروب الخليج

عاصر الذين شملتهم المقابلات ثلاثة حروب خاضها العراق في ظل ولاية نظام صدام حسين: الحرب العراقية-الإيرانية (1980-1988)، حرب الخليج الثانية 1990/1991، وحالياً غزو واحتلال العراق بواسطة قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة. وكل من عايش هذه الحروب الثلاث يستطيع أن يروى تجاربه المأساوية المرتبطة بالحرب ويحصى الأصدقاء أو الأقارب الذين كانوا ضمن ضحاياها. وتجدد الإشارة في هذا الصدد إلى أن الشباب بمجرد بلوغهم سن السادسة عشرة كان يصاحبهم شعور بالخوف من أن يستدعوا للالتحاق بالخدمة العسكرية في أى وقت وبدون سابق إنذار.

والمقابلات التي وفرت المادة لهذا التحليل تمت في صيف وخريف عام 2004، أى بعد عامٍ ونصف من غزو قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة. ويتضمن القسم التالي عرضاً موجزاً عن الملامح الرئيسية للموقف في بغداد في تلك الحقبة.

## العراق في صيف 2004

### حل الهياكل

في ظل الاحتلال تم حل هياكل الدولة واستبدلت بها مؤسسات مرتجلة مؤقتة حولت سلطات وصلاحيات قضائية ظلت في البداية مبهمة بعيدة عن أى شفافية. وموازية لذلك، فإن المجتمع بأكمله وقد استنفره انتقال السلطة على هذا النحو ساد نقاش ساخن حول مصادر ومكونات الهوية الشخصية والجماعية، حيث مثلت الانتماءات الدينية والسياسية والعرقية والإقليمية نقاط انطلاق من أجل بناء جديد للهوية. وفي ظل هذا الموقف، أثبتت الومعاط والدعاة المتشددون (مثل مقتضى الصدر) قدرة على جذب الحضور خاصة على صعيد الشباب، وذلك بواسطة الحث على التسليح بالعقيدة الدينية الخالصة ضد الفوضى الاجتماعية المتزايدة. وفي 28 يونيو شكلت

حكومة مؤقتة برئاسة إياد علاوى الذى نظر إليه على أنه قيادى له نزعات الحكم الشمولي. وهذا التطور صاحبه تطلع إلى توضيح سريع للموقف.

### انعدام الأمن

إن الانعدام المفاجيء لأى مظهر من مظاهر الأمن على صعيد الحياة العامة يكاد أن يكون الملمح الرئيسى للموقف فى عام 2004؛ فقد واجه المواطنون العراقيون العديد من التهديدات من مختلف الجهات؛ أولاً، مثلت قوات الاحتلال مصدراً دائماً لعنف محتمل وتخريض ممكن على العنف؛ ثانياً، التزايد المطرد فى عدد المجرمين المستعدين لسلب ونهب الممتلكات واختطاف الأطفال، أو العمل كقتلة ماجورين؛ وثالثاً، شهد صيف 2004 زيادة هائلة فى عدد القتلة ذوى الدوافع الدينية أو السياسية، بما مثل مصدر انشغال وقلق متواصل، طالما أن مثل هذه الهجمات تواترت بشكل متصاعد وبدأت تستهدف ليس فقط قوات الاحتلال وإنما أيضاً هؤلاء الذين يتعاونون معهم. وفى تلك الأثناء، تحولت المعارك فى الفالوجة إلى رمز لعدم قدرة قوات الاحتلال على تقييض المقاومة.

### نمو الحرية

إن الحرية التى تولدت عن سقوط النظام بدت واسعة الأبعاد وجذرية؛ ودليل على ذلك العدد الهائل من المحطات الإذاعية الجديدة والصحف التى تحررت من رقابة الدولة وبدأت تنشر وتبث مواقفها الخاصة التى عادة ما تغلب عليها الصبغة السياسية. كما انتشر العديد من مقاهى الانترنت التى وفرت الوصول غير المحظور إلى المعلومات عبر الشبكة المعلوماتية. ومن جهة أخرى هناك القنوات الفضائية التلفزيونية المتاحة بحرية لكل مواطن قادر مالياً على شراء طبق الفضائيات. وأيضاً تأسست الأحزاب السياسية وبات من الممكن التعبير علناً وبحرية عن وجهات النظر والآراء السياسية. ومنذ سقوط نظام صدام حسين تم إنشاء ما يزيد على 700 منظمة غير حكومية فى العراق، بمساندة فى معظم الأحيان من قبل العراقيين المنفيين خارج البلاد والذين عادوا الآن إلى وطنهم (فى يونيو 2005 ضم العراق حوالى 6000 منظمة غير حكومية).

### تزايد حجم الفقر

لقد كان الموقف التموينى فى العراق صعباً بالفعل حتى من قبل الغزو وكل ما فعلته الحرب أهما جعلته أكثر خطورة وتفاقماً. والانقطاع المتواتر للتيار الكهربائى فى ظل حرارة جو تصل إلى 55 درجة كان من العوامل الشاحنة لمشاعر الغضب واليأس على صعيد جماهير الشعب أضف إلى ذلك المستوى المتدنى للخدمات الصحية والنظافة العامة داخل المستشفيات والحالة المتردية للطرق وشبكات المياه. كما أن التسريح المكثف لأفراد الجيش على إثر التسوية السلمية وبموجب عملية إزالة الصبغة البعثية، ترتب عليه تفاقم مشكلة البطالة المستشرية بالفعل والارتفاع بمعددها إلى حوالى 50%. وقد أشارت الأرقام الأخيرة لعام 2004 إلى أن 43% من جميع العائلات تعيش تحت خط الفقر وأن 44% من هذه العائلات تعيش بالكاد فوق هذا الخط و2% فقط هى التى تنعم بمستوى معيشى معقول أو حتى بقدر من الرفاهية.<sup>3</sup>

## التوقعات بالنسبة للمشاركة السياسية

إن خارطة الطريق التي فرضها ساسة الولايات المتحدة لم تعد فقط بانتخابات في يناير 2005 وإنما أيضاً بإرساء الديمقراطية في العراق؛ فقد نصت على إجراء انتخابات وتشكيل حكومة مؤقتة وإعداد دستور في 2005/8/15، وتنظيم استفتاء حول الدستور وأخيراً إجراء انتخابات تشريعية في نهاية 2005 على أساس الدستور الجديد. وقد أوضح النقاش العام في العراق حول فرص المشروع في النجاح نوعاً من الازدواجية أو التضارب، مع اعتبار التساؤل حول أي ديمقراطية من الممكن إرساؤها من خلال الحرب وبعيداً عن الإكراه عنصراً أساسياً في هذا النقاش. في حقيقة الأمر، فإنه من خلال أفق السكان المدنيين، رغم أن إجراء الانتخابات في يناير 2005 يظل يمثل مجرد خطوة، إلا أن مصطلح "الديمقراطية" بالنسبة لهم لا زال يزخر بالأمل.

## عرض النتائج

وفقاً لما أشير إليه في بداية هذه الوثيقة، فإن تحليل المقابلة ركز على مسألة كيفية تشكيل السير الحياتية. وبعيداً عن هذا الشاغل الخوري، تمثل الهدف في كسب فهم أكبر وأوسع لقيم ودوافع ومواقف شركاء المشروع والمجموعات المستهدفة. والأسئلة الجوهرية الواردة تفصيلاً في القسم 2/2 استخدمت هنا لهيكلة العرض.

## ما هي وظائف ومهام الذين شملتهم المقابلات وما هي كيفية أدائهم لها؟

أغلبية الذين تم إجراء مقابلات معهم ينتمون إلى القطاع الخاص أو يعملون بعمود أو يديرون مشروعاتهم الخاصة. وما بين 28، 6 منهم هم فقط من العاملين بأجر بينما يعمل اثنا عشر منهم بالقطاع الثقافي، مثل العاملين في مجال صناعة السينما، والكتاب، والفنانين التشكيليين، والراقصين والموسيقيين. وذلك علاوة على 6 أشخاص يملكون محال أو ورش يتراوح مجال نشاطها من مواد البناء حتى صفقات التحف الأثرية، وواحد يملك قهوة انترنت وآخر محل لرسم الوشم و6 أشخاص ممن شملتهم المقابلات يعملون في الأساس صحفيين كل الوقت بينما يعمل بقية أفراد المجموعة في برامج الكمبيوتر والأنشطة الرياضية وكعاملين في منظمات غير حكومية أو في الجامعات.

## تركيبة السير الحياتية والتعليم غير المؤسسي

بما أن الكثيرين ممن شملتهم المقابلات عملوا بأكثر من مهنة، سواء على نحو تبعي أو متزامن، فإن التصنيف الأولي إلى مجموعات مهنية لا يمكن تطبيقه إلا بشكل تقريبي؛ فعلى سبيل المثال الشاعر والكاظم تلقى تدريباً في مجال الكهرباء ولكنه يعمل حالياً صحفياً. والمراسل يملك أيضاً قهوة انترنت، وهناك صحفي آخر هو ليس فقط رجل أعمال ومزارع ولكنه أيضاً منشغل في كتابة رسالة الدكتوراه. ومؤسس المنظمة غير الحكومية هو أيضاً مؤلف، وهكذا... ومعظم السير الحياتية التي اطلعنا عليها اتصفت بتغييرات متكررة في مجالات العمل وتعدد الوظائف في مختلف المهن.

ومن المسلم به أن مثل هذه السير الحياتية غير الخطية هي الأرجح حدوثاً بالنظر إلى التوزيع المركزي للأماكن في الجامعات وفقاً للدرجات المدرسية، وهو ما ينطبق على حالة العراق في ظل نظام صدام حسين. وفي هذا الصدد يكون جلياً أن اختيار نوع التدريب لا يتم على أساس اهتمامات الطالب ومقوماته وإنما هو يفرض عليه بواسطة آلية تضعها الدولة ويقرر بموجبها أنماط معينة من التعليم وفق مستوى الدرجات. وفي حالة الأشخاص الذين قابلناهم، فقد نتج عن الوضع السابق الإشارة إليه إنهم اتموا الدورات التدريبية المحددة لهم مع مواصلة تنمية اهتماماتهم ومواهبهم الذاتية ودمج كلا الأمرين في سياق العمل الذي يمارسونه.

وهذا النوع من الاختيار الوظيفي غير الخطي يرتبط أيضاً بالتحصيل في إطار التعلم الذاتي لاكتساب المعارف والكفاءات التي يتطلبها عمل المرء. وعادة يتم تعلم واكتساب الخبرة والمهارات المطلوبة خارج المؤسسات التعليمية التابعة للدولة، وغالباً ما يتحقق ذلك بمساعدة الأصدقاء والكتب وأيضاً، منذ 2000، بواسطة الانترنت كمصدر للمعلومات. والمثالان التاليان يوضحان هذه الطريقة للتعلم؛

بالنسبة لمالك محل لرسم الوشم فإنه لا يعلم نفسه فقط كيفية رسم الوشم ولكنه هو أيضاً الذي وفر الأدوات التي احتاجها في عمله في بداية ممارسته للمهنة: "لقد بدأت أمارس عملي عام 1996 وكنت وقتذاك أجيد بالفعل فن الرسم وكان أدائي للعاملين على أكمل وجه. وفي البداية كان عليّ أن أعد تجهيزات رسم الوشم بنفسى ولكن بعد فترة بدأت الأمور تتطور من تلقاء نفسها وبطبيعة الحال فإن المسألة تتعلق هنا بالمهارة والموهبة، وقد تعلمت المهارات الأساسية وأرست الأساس كى أبن عليه. ودأبت على تنمية هذه المهارات، وكرست جهدي للتعلم على سبيل المثال من مصادر مثل المجلات والكتالوجات الغربية المتخصصة".

وفيما يخص المنتج السينمائي O فإنه ترك معهدَه بعد التحاقه به بعام واحد وتعلم بمعرفته كيفية إنتاج فيلم سينمائي: "كل طالب كان عليه إنتاج فيلم قصير كجزء من اختبار آخر السنة. وهو ما عجز عن تحقيقه معظم الطلبة، وذلك ببساطة لأنهم لم يتعلموا كيفية أداء مثل هذا العمل. وفي أحد الأيام طلب مني أحد الطلبة أن أعد له فيلماً يمكنه من اجتياز الاختبار النهائي، وعرض عليّ مبلغاً من المال في المقابل. أعددت الفيلم بالفعل وفجأة أثمر عليّ سبل من طلبات مماثلة. وبعدئذ أخذت أنتج الفيلم تلو الآخر لهؤلاء الطلبة، وهو ما مثل لي طريقة مثلى لتعلم فن إنتاج الأفلام — واستطعت أن أجرب كل شيء في هذا الخصوص".

### الثقة في صنع القرار والسرعة في التنفيذ

الشيء الذي لفت النظر أثناء محاولة تحديد العوامل والمؤسسات والأشخاص الذين كان لهم تأثير على السير الحياتية للأشخاص الذين شملتهم المقابلات، هو أولاً وأساساً نزعتهم المدهشة نحو الثقة بالنفس دون الأخذ في الاعتبار بشكل كبير للمخاطر أو المساوئ المحتملة أو الحرص على اتخاذ خطوات تكفل لهم الوقاية في الأجل الطويل؛ فمعظم هؤلاء الأشخاص أقدموا بسرعة على تفعيل خططهم وتنفيذ مشروعاتهم. وقد اتخذوا هذه القرارات بأنفسهم، وغالباً على نحو منفرد تماماً دون أن يفسحوا في حساباتهم مكاناً لتدخل أو مساندة من قبل مؤسسات الدولة أو أفراد عائلاتهم أو غيرهم. وفيما يلي نورد بضعة أمثلة تبرز هذا المنهج. بمزيد من التفاصيل:

الصحفي S الذي يعد حالياً رسالة الدكتوراه، يعمل في عدد من الوكالات والصحف، ويكتب حالياً رسالته بالجامعة، وعلاوة على ذلك يدير قطعة أرض صغيرة مستأجرة خارج بغداد. وعندما يتحدث عن أسلوبه في الحياة، يقول: " نصيحتي لكل من يتطلع إلى النجاح أن تحدد لنفسك هدفاً وتتسى ما عدا ذلك. أى لا تفكر إلا في هذا الهدف وكيفية بلوغه. وفي تقديري أنه لا يكون عليك سوى أن تضع هذا الهدف نصب عينيك باستمرار وألا تسمح لنفسك أبداً أن تصرفك عنه المشكلات والصعوبات الموجودة في العراق حالياً. {...} وإذا أردت أن تكون ناجحاً سوف يكون عليك أيضاً الأستمتاع بالمجازفة التي ينطوى عليها أى تحدد {...} أنني أستطيع الإقدام على أى مخاطرة وأن أتحدى أى قوة في العالم".

R. يدير بنجاح قهوة انترنت في بغداد: "لقد فتحت قهوة الانترنت الخاصة بي بعد الحرب بمساعدة أصدقاء وفروا لي أجهزة الحاسبات الآلية على سبيل الأستعارة. وقبل الحرب كنت أدرس في بغداد بكلية الإعلام. وقد أنشأت قهوة الانترنت الوحيدة في هذا الجزء من المدينة {...} وعلى امتداد سنوات حياتي وحتى الآن لم أفعل سوى ما هو صحيح. وأنتي أتق في نفسي وفي قدراتي البيديهية. ويعتقد الكثيرون أن في استطاعتهم عمل أشياء عظيمة ولكن دون أن يفعلوا أى شيء. ولكن ذلك لم يحدث معي".

O هو منتج أفلام من بغداد قام بتصوير فيلم هناك بعد انتهاء الحرب بوقت قصير. وقد استخدم في فيلمه مواد فيلمية قديمة ومنهوبة قام بشرائها من السوق السوداء: " إن أحداً من الناس ممن دفعوا نقوداً من أجل الفيلم لم يكن على يقين من إمكانية عرضه على الشاشة. كما أن أياً منهم لم يكن على دراية بما سيؤول إليه أمر هذا الفيلم. ولكن يظل أنني قمت أنا وأخى ببيع سيارتنا لجعل عملنا ممكناً.

وفي سياق إحدى المحادثات، كان J قد اتخذ قرار العمل في مهنة الصحافة: " بعد يوم أو اثنين من سقوط نظام صدام حسين زارني صحفي أمريكي في منزلي. وفي تلك الأثناء كنت أعمل خبازاً بأجر يومي يعادل حوالي دولارين.

وبعد أن بدأت حديثي بوصف مسكني بأنه مكان لا يمكن لفأر قبول العيش فيه، وجه إلى الصحفي بعض الأسئلة وبتلقائية أجبته بأنه الآن وبعد تغير النظام سوف يتغير وضعي أيضاً، وفي هذه اللحظة بالضبط قررت أن أكون صحفياً".

وقد اتسم العديد من هذه السير الحياتية بالاستعداد لاتخاذ قرارات جذرية طغت عليها مشاعر الثقة بالنفس والشجاعة. ويقدم الأشخاص أثناء المقابلة أنفسهم على أنهم عناصر سيادية وأهم يتفاعلون مع التغيير في عموم معطيات الموقف لا بسلبية وإنما بنشاط. وهم لا يلتزمون مساندة مؤسسية إلا أنهم يعملون على مساعدة الأصدقاء والأقارب.

ورغم ذلك هناك من الطبيعي مناهج أخرى للعيش منها على سبيل المثال عندما يمارس الشخص أنشطة رياضية تكون امكانياته في مزاولتها عرضة للتقييد من قبل أجهزة الرياضة الرسمية. وهناك حالات أخرى مثل عازف العود وتاجر التحف، كشفت عن استمرارية التقاليد الأسرية التي تتمثل في ممارسة الأبناء أعمال وتجارة آبائهم. ومع ذلك فإنه من خلال سلسلة مقابلاتنا، وضح لنا أن نمط الحياة المحددة بالتكيف مع قيود خارجية هو مصنف عند مستوى أقل مقارنة بمنهج الاستقلالية الذاتية والتوجه نحو العمل وتقرير المصير، والمتصل بمحاولات اكتساب ذاتي للمهارات وإعداد تركيبة السير الحياتية.

## التعليق

فإذا أردنا تطبيق هذه الملاحظات بشأن الهياكل والظروف المجتمعية في صيف 2004 (انظر 1/3)، سوف يتضح لنا أن نزعة الثقة في النفس وسرعة اتخاذ القرارات المصرية من الممكن جدا أن تكون قد مثلت استجابة ملائمة لمستجدات ميزت بقوة الموقف في العراق وتمثلت في حل الهياكل والدولة والنظام. ومن الواضح أن الأشخاص الذين قابلناهم كانوا بصدد التعامل مع مسألة الاختفاء المفاجئ للهياكل والأمن والنظام بطريقة تتصف بكفاءة عالية وثقة في النفس بما أثار تساؤلاً حول متى وكيف تأتي لهم اكتساب تلك المهارات. وجميع الذين أجرينا معهم مقابلات نشأوا في ظل النظام البعثي وبالتالي في ظل هياكل مجتمعية تحدد توجهها نحو التنظيم والإشراف والرقابة. ولكن كيف تمكن الشباب في مجتمع فاشي وقمعي من تطوير قدراتهم على نحو يجعل منهم خبراء في التعامل مع الفوضى والحياد عن الطريق الصحيح؟

وهناك في هذا الصدد فرضية ربما تحتاج إلى التدقيق بشأن صحتها، تتعلق بعدم قدرة الدولة على الاستمرار في تلبية احتياجات قطاعي العمل والتعليم في ظل الظروف الناجمة عن الحظر. ومن المسلم به أن عجز الدولة عن أن توفر للمدنيين التنمية المؤسسية والحماية ذات الطابع المؤسسي أدى في الوقت نفسه إلى زوال إشراف ورقابة المؤسسات على هؤلاء المدنيين. وقد نتج عن ذلك أن الثقافة السياسية لم تعد تتغلغل أو توفر هيكلية المساحة الخاصة بالأنشطة المهنية الفردية التي (أو التي يجب أن تكون) منظمة خارج إطار الهياكل المؤسسية. ومن تناقض الأمور أن هذا التفكك من الممكن أن تصاحبه زيادة في شرعية النظام وفقاً لما أشير إليه في الفصل الثالث. والثابت أنه في داخل المجتمع من الممكن أن تنمو النطاقات الثقافية المستقلة ذاتياً بواسطة قيمها وقواعد العمل الخاصة بها. بصورة أدق، يتعين علينا توضيح أنه في ظل سياق هذا الجانب الهيكلي، الانتقال من الديكتاتورية إلى الفوضى لا يمثل بالضرورة تغييراً كبيراً. وسوف أعود لتناول هذه النقطة في القسم الخامس.

## الأسرة والنوع (الذكر/الأنثى)

فيما يخص ما يقوم به الأشخاص الذين تمت مقابلتهم من أعمال وأفعال خارج دائرة النفوذ العائلي هي ليست موضوع تناول في هذا التقرير. وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنه بالنسبة لكل فرد تلعب الأسرة دوراً جوهرياً في تكوين مفاهيمه الخاصة وخططه المستقبلية وحياته اليومية بل والأكثر من ذلك أن لها الغلبة على الولاء تجاه الدولة. وفي المجتمع العراقي تعد الأسرة الموسعة بمثابة الوحدة الاجتماعية الأساسية. ومع ذلك فإنه لدى تقويم تأثير الأسرة يحتاج المرء إلى التفرقة بين الخطط المتعلقة بالعمل وتلك التي تتصل بدائرة الحياة الخاصة، بل وأيضاً بين الرجل والمرأة. ومع أن بعض القرارات المتصلة بالشؤون الخاصة، مثل محل الإقامة واختيار الزوجة — وهي مسألة خارج نطاق البحث في هذه الدراسة، ينظر إليها بالتأكيد على أنها من المشاغل العائلية وتخضع لرقابة الأسرة، فإن هذا الأمر لا ينطبق بنفس القدر على القرارات التي يتخذها الشباب وتتعلق بالعمل. وفي الوقت الذي أعرب فيه هؤلاء الذين عقدنا مقابلات معهم وأيضاً زملائنا عن مساندة وتشجيع أسرهم لهم في حياتهم المهنية، وصفوا موقف أسرهم حيال علاقاتهم الخاصة أو العاطفية، إن وجدت، بأنها مقيدة ومسيطر عليها. ومسألة ما إذا كان هذا المنهج يمكن تمييزه على النحو نفسه في حياة الفتيات الشابات، هي غير مشمولة في هذا البحث.

إلا أنه من المعروف بصفة عامة أن المرأة تخضع لضوابط أسرية ومجتمعية أكثر صرامة من تلك التي تفرض على الرجل، ومن الثابت أيضاً أنه منذ منتصف التسعينيات خضعت المرأة بشكل متعاظم لمزيد من التهميش والقيود.

### ما هي الدوافع والاهتمامات التي تلعب دوراً في عملهم؟

وفي الخطوة الثانية من التحليل تم الاستقصاء عن الدوافع وراء القرارات المتصلة بالعمل والاهتمامات المحركة لها. وقد برزت في السير الحياتية الدوافع التالية:

#### السوق والعملاء

في سياق شرحهم وتفسيرهم للقرارات المتصلة بالعمل أشار من قابلناهم إلى احتياجات واهتمامات العملاء والسوق. وعلى غرار ما هو قائم في أي مكان من العالم، عندما تصبح المنتجات متاحة بوجه رجال الأعمال أنفسهم وفقاً لطلب الزبون. كما من المشاهد أيضاً أن الفنانين يطوعون إنتاجهم وفقاً لاهتمامات جمهورهم المتوقعة أو الحقيقية، وفيما يلي نتناول بمزيد من التفصيل ملمحاً خاصاً من " توجه الزبون ":

عبر الكثيرون من الفنانين الذين قابلناهم عن انخراطهم طوعاً لإصلاح الفن والارتقاء به في المجتمع. وقد أعربوا عن أسفهم إزاء التعاون بين الفن والنظام السابق وأيضاً فيما يتعلق بسوء استخدام الفن لأغراض الدعاية بما أدى في النهاية إلى تدمير الفن ووظيفته في المجتمع. وينظر الفنانون إلى ضياع مصداقية الثقافة بين عامة الشعب كما لو كانوا قد فقدوا وسائل وجودهم. وقد انصرف الشعب عن الفن لدرجة أنه حتى بالنسبة للفن المصطبغ بطابع المعارضة في طبيعته والبعيد عن شبهة الانحياز أو الانتساب للنظام فإنه فقد بدوره جمهوره وشرعيته. وأعلن من قابلناهم رفضهم للفنانين الموجودين في المنفى والمستبعدين، وكذلك الفنانين الموالين للنظام والذين يعملون ضد الشعب. وعلى الجانب الآخر، فإنهم يجاهدون من أجل استعادة لقيم من الجمهور عن طريق تناول القضايا والموضوعات ذات التأثير المباشر على أفراد الشعب.

فعلی سبیل المثال، علق الشاعر أ. بقوله: " لقد نشأت في زمن كان صعباً جداً على الشعراء الفوز فيه بقبول جماهيري واسع النطاق، وهو ما آلتني كثيراً وقتذاك. والسبب في ذلك أن الشعراء كانوا يكتبون قصائد مدح وإطراء في رجال السلطة، وبهذا النحو يحصلون على أموالهم. ومجموعة صغيرة جداً من الشعراء هي فقط التي ابتعدت عن السير في هذا الطريق وتلمست سبلاً مغايرة تتسق مع رؤية ومنظور العامة. وبما أن هذا الوضع استمر لعقود طويلة، تعود الشعب على إزدراء الشعراء لما كانوا يكتبون عن صدام وعن أحداث في العراق بعيدة بل عديمة الصلة بالواقع الذي يعيشه الشعب. هؤلاء الشعراء سكنوا عالماً آخر غير عالم الحقيقة وعالم الشعب العراقي {...} والآن نحن نحتاج إلى شعراء في العراق يرون أن ما كان ينشر في تلك الأيام على أنه أدب كان مجرد أكاذيب لا صلة له بفن الشعر على الإطلاق. وعلينا أن نقدم للقطاع العريض من الجماهير قصائد ترتبط بأفراحهم ومعاناتهم وتكون بعيدة تماماً عن الحكم والحكام ".

## عرض بالخارج

ولقد عثرنا هنا على موضوع ثان وثيق الصلة بمفهوم إحياء الفن عن طريق التركيز على الجمهور: ألا وهو رد اعتبار الشعب العراقي وتصحيح الفكرة المأخوذة عنه من خلال وسائل الإعلام في بقية أنحاء العالم. وقد برر العديد ممن شملتهم مقابلاتنا أعمالهم بالرغبة في تصحيح الصورة المثيرة التي تروج إعلامياً عن تخلف العرب وشغفهم بالعنف لكي تحل محلها الصورة الحقيقية للمواطن العراقي المتعلم والواثق من نفسه بل والمتحرر، وهي الصورة التي اختفت من الإعلام منذ سقوط نظام صدام.

وهذه الرغبة تلعب دوراً كبيراً بين البلوجرز العراقيين، وهو ما يعبر عنه البلوجر بقوله: "إننا نحدد دافعنا للكتابة من خلال التناقض الواسع بين التقارير والتعليقات الصادرة عن وسائل الإعلام العالمية، وما نخوضه بأنفسنا بصفة يومية من تجربة. وفي الكثير من تقاريرها، تعطى وسائل الإعلام العالمية إنطباعاً أنها لا تعلم سوى قليل القليل عن الأحداث الجارية — وهو ما لا أستطيع الجزم بما إذا كان مقصوداً من عدمه. ولكن هذه الظاهرة تعكس ببساطة صورة غير صحيحة عما يحدث، وهو ما يجتأ جميعاً على متابعة الأحداث اليومية".

ويتحدث الفنان التشكيلي هـ بشكل مباشر وأكثر صراحة: "إن مساعدة أصدقائي قد سمحت لنا بنشر وترويج صورة مغايرة عن تلك التي تطالنا عادة عبر وسائل الإعلام أو تبثها القنوات التلفزيونية الفضائية في هيئة أخبار، بغض النظر عما إذا كانت مصاغة بعبارات سوداء أو بيضاء. وأنتم أنفسكم تعلمون جيداً أنه في الوقت الحالي تركز الأنباء على كل ما هو قائم في المدينة، أي على الجانب المظلم، من أعمال سلب ونهب وقتل. وكل ما نريده هو أن نفسح مساحة لأصوات العراقيين كجزء من هذا التغيير أيضاً، بحيث تتمكن من أن تقول: نحن هنا نفكر ونحلم ونجز عملنا، وهو الأمر الذي سوف يعكس حالة التحضر التي نعيشها بشكل أصح بدلاً من مظاهر الانحلال والتفسيخ التي تستحوذ على عدسات المصورين الذين يتكالبون على تصوير تفاصيلها لكي يجمعوا بها برامج القنوات التلفزيونية الفضائية".

كما تلاحظ وجود تغير آخر على صعيد هذا الشق من الاهتمامات بين بعض الصحفيين الذين يطالبون بإعادة إدراج الحقيقة عبر وسائل الإعلام العراقية، باعتبارها مقياساً وهدفاً رئيسيين للعمل الصحفي؛ ومن هذا المنظور لا تكون الصحافة بمثابة مهارة بقدر ما هي، أولاً وأساساً، مهمة معنوية:

"الشيء الذي أتمناه حقاً في عملي كصحفي هو أن أتمكن من عرض الحقيقة، بدقة وبدون تحيز، بغض النظر عما إذا كانت تتعلق باضطهاد أي شخص عادي، أو تتناول حقوقاً انتهكت في الماضي، أو تكشف حقائق يريد السياسيون حجبتها عن الشعب".

## العاطفة

وتبين لنا أنه بالإضافة إلى ما سبق وعلى نحو مكمل للتوجه الظاهري لكل من الزبون/السوق/الصورة، تتخذ قرارات العمل على أساس عاطفي؛ أي أن العواطف هي مصدر رئيسي للحفز في أنشطة العمل، رغم ما يحتمل بسبب الظروف المعادية التي تحيط بممارسة هذه الأنشطة.

وهو ما عبر عنه بوضوح أكبر صانع العود الذي بدأ في ممارسة هذه المهنة وهو لا يزال في الثامنة عشرة من عمره: "إن صناعة العود ليس هو بالعمل التجاري المريح نظراً للتفاصيل المتداخلة في هذا العمل والتي تستغرق وقتاً كبيراً فضلاً عما تتصف به من تعقيد {...} ولا يمكن لأحد أن يصنع العود إلا إذا أحب الآلة أيضاً. كما أن الأمر يحتاج إلى وقت لكي تكتسب المهارات التي تحتاجها ولكن بعد ذلك سوف تكون بحق فخوراً بعملك."

{ السؤال: أى نوع من المهارات تكون في حاجة إليها لكي تصبح صانعاً للعود؟ } أولاً وقبل أى شيء، يجب أن تكون عاشقاً للآلة."

والصحفي O يحفزه استمتاعه بعمله: "بعدئذ بدأت كمذيع في محطة الإذاعة المحلية، وفي هذا المضمار أيضاً استمتعت كثيراً وكثيراً وزادت كفاءتي الإعلامية، وأجمل أوقاتي هي التي أقضيها في الاستوديو."

### التعليق

عند مقارنة الدوافع والاهتمامات المشار إليها في هذه الدراسة بالظروف المعيشية في الوقت الذي أجرينا فيه المقابلات، يجد المرء نفسه إزاء تناقض ظاهر: الأشخاص الذين تمت مقابلتهم لا يعملون على نحو دفاعي أو بدافع اليأس، كما قد توحى بذلك الظروف المعادية في بغداد المحتملة؛ وبدلاً من ذلك فإنهم يواصلون السعي لتحقيق أهدافهم التي يجدر وصفها بالمثالية. وبدلاً من التركيز في حديثهم على ضعفهم ويأسهم، أكد محدثونا حجم وتأثير إمكاناتهم. وفي أحاديثهم عن سيرهم الحياتية وضح أن الحرية كمثل أعلى لها الغلبة على النقص في الماديات والمشكلات المرتبطة بالوجود، والتي نادراً ما تمثل أسباباً ظاهرة لأعمالهم.

### مدى أهمية العالم الخارجي في عملهم؟

منذ سقوط نظام صدام حسين سجلت الاتصالات مع الخارج زيادة كبيرة، رغم أنه من الناحية الموضوعية شهدت البلاد تدهوراً في ظروف التجارة نتيجة المخاطر على أرض الواقع (الزيارات من الخارج إلى العراق تكاد أن تكون قد توقفت كلية)، والأضرار البالغة التي لحقت بالبنية الأساسية، مع ما ترتب على ذلك من صعوبة شديدة في إجراء اتصالات هاتفية وبطلان سريان جوازات السفر الصادرة في ظل النظام السابق. ومع ذلك فإن الاتصالات لم تتسع فقط وإنما صارت أيضاً أكثر تفاعلاً، فبدلاً من أن تكون مجرد استيعاب للثقافة الغربية أثمرت عن تحقيق تبادلات تجارية وثقافية.

### التعاون

بدا جلياً أن أغلبية الذين قابلناهم يتطلعون بنجاح إلى الاتصال بالمؤسسات الغربية لاستخدام إنتاجهم وقدراتهم التوزيعية للوصول إلى الأسواق والمجتمعات والمحاضرات والأحداث الدولية:

- ذكر لنا عازف جيتار أجريت معه مقابلة أن الفرقة التي كان يعمل بها عثرت على منتج في لندن سيقيم بإنتاج ألبومها الجديد هناك ويتولى ترويجه في السوق الدولية.

- كما ذكر لنا شخص آخر ممن قابلناهم وهو منتج سينمائي كان يعمل مع شركة إنتاج سينمائي ألمانية من أجل إنتاج وتوزيع فيلمه الذي صورت مشاهدته في مواقع ببغداد. وفي أثناء تنفيذ هذا المشروع سافر إلى ألمانيا مع بعض من زملائه العراقيين لقضاء بضعة أشهر هناك. والفيلم يعرض حالياً في مهرجانات السينما العالمية.
  - تقدم العديد من الصحفيين العراقيين بطلبات التحاق بدورات تدريبية لدى محطات IWPR, CNN, BBC وهذا النحو صاروا يعملون مراسلين لوكالات أجنبية. وجدير بالتنويه في هذا الصدد أن سترممينستر (streamminister) على اتصال بما لا يقل عن 30 عراقياً — بخلاف من ورد ذكرهم في هذه الدراسة — ممن شاركوا في مشروعات إعلامية تنفذها streamminister-media والمشار إليها آنفاً.
  - شملت مقالنا أحد مصممي برامج الكمبيوتر وهو عضو في مؤسسة لينوكس الدولية، ويعتبر نفسه بمثابة رأس جسر لهذه المؤسسة في العراق. وقد ذكر لنا أنه يتمنى أن يتمكن من مساعدة العراق في أن يصبح مكاناً يزيد فيه عدد مستخدمي لينوكس على عدد مستخدمي ميكروسوفت.
  - أجرى رياضيو سباق جري المسافات العراقيون تدريباتهم استعداداً للألعاب الأولمبية في كولونيا (Cologne) منذ أن تحسنت الظروف هناك، كما استعدوا أيضاً لمسابقة الألعاب العربية في العاصمة الجزائرية.
  - كما أن كلاً من (؟) يعملان في تجارة التحف التي يقومان بشرائها من إيطاليا والنمسا وروسيا، وأيضاً من الدول العربية كافة.
- وفي وقت إجراء المقابلات، تبين أن الغالبية العظمى من الذين قابلناهم لهم اتصالات نشطة تتعلق بالعمل مع الخارج — وهو أمر يثير الاندهاش إذا أخذنا في الحسبان مدى الظروف الصعبة التي أحاطت بعملية نسج هذه الاتصالات والحفاظ عليها.
- وقد كان الانتقاد الرئيسي للغرب موجهاً ضد تغطيته الإعلامية. وكما وضح لنا من خلال بعض الفقرات السابقة، فإن العراقيين ينتقدون في المقام الأول اختيار الصور التي تبث عن طريق وسائل الإعلام الشغوفة بالعنف والتي تركز، كمحور لتغطيتها، على مشاهد ارتكاب المسلحين العراقيين لأعمال الأذى الجسدي التي يتعرض لها الضحايا العراقيون. وهم خائفون، عن حق، من أن تفسد وسائل الإعلام على هذا النحو صورة العراق في الخارج وهم يحاولون استخدام أنشطتهم في الحيلولة دون حدوث مثل هذه التطورات لا سيما وأن مجتمع البلوجرز العراقي يتميز هنا بالنشاط ونجح في كسب شعبية عالمية واسعة (كمثال، [www.riverbend.blogspot.com](http://www.riverbend.blogspot.com)).

## الهجرة

كما سبق توضيحه في الفقرة 1/3/4، فإن الاتصالات مع الخارج نشطت بصفة عامة، وعلى الأخص مع الغرب كما أن الأفكار المستوحاة من الخارج لا تزال محل ترحاب. وقد نظر لتنامي التبادلات مع العالم الخارجي على أنه أمر إيجابي، كما اغتنم العراقيون الفرص المتاحة لكسب المال من خلال التعاون. وعلى العكس من ذلك، اعتبر قرار مغادرة العراق للإقامة في الخارج قراراً غير محبذ. وقد أعرب الكثيرون ممن قابلناهم عن نبذهم ورفضهم للهجرة، أو على الأقل

أنكروها كأمر ممكن في حياتهم. وبهذا المفهوم تمثل مجموعة pop التي قابلناها استثناءً بما أنها قررت بشكل جماعي الهجرة إلى لندن. أما الآخرون الذين علقوا على هذه المسألة فإنهم ينظرون جميعاً إلى الهجرة — وإن لم يفصحوا عن ذلك صراحة ولكن فيما بين السطور — على أنها بمثابة خيانة أو عمل ينم عن ضعف.. وكما وضح من حديث الكاتب O، فإنه ينظر إلى المهاجرين على أنهم أداروا ظهورهم للشعب، بالضبط مثل حكمهم على الفنانين الموالين للنظام الذين أداروا ظهورهم للشعب واتجهوا نحو حاكم العراق الظالم.

"هناك نمطان من الشعر الموسيقي العراقي لم يعد من الممكن بالمرّة مطالعتها — وغالباً ما يكون ذلك لأسباب نفسية. أنني أتحدث عن مثل هذه الأنماط، وهذه التناقضات الأيديولوجية التي لا تزال تلقي بظلالها على الثقافة العراقية، النمط الأول يقصد به الشوفينيون، أى المغالون في الوطنية، والثاني يتمثل في المهاجرين. وأى من هذين النمطين لا ينظر إليه على الإطلاق كأحد الأشكال التي تمثل الثقافة العراقية كما أن أعمالهم لا تقرأ بتاتا {...} وحالياً يتساءل الكثيرون من أفراد الشعب عن سبب عدم وجود مظفر النواب هنا في العراق؟ {...} أنه يقيم حالياً في سوريا ويتقبل النظام القائم هناك والذي يعد بشكل ما ديكتاتورياً. ومن ثم لماذا هو غير موجود هنا في العراق؟ أو أيضاً سعدى يوسف الذي يعيش في لندن وعلى نفقة الشعب الإنجليزي حيث أنه يحصل على دعم مالى من الحكومة البريطانية، وهكذا يعيش في بلد يحتل وطنه. هذه هي التناقضات التي ببساطة يتعذر على فهمها".

الهجرة مرفوضة كخيار حياتي كما تؤكد ذلك العبارات التالية التي وردت على لسان المنتج السينمائي R:

"كان موضوع فيلمي الثاني نهاية ثقافة الخنافس في العراق واستغرق الفيلم تسع دقائق واعتبر إلى حد ما جيداً. وقد عرض في مهرجان الأفلام السينمائية بامستردام، ولم يكن قد سبق لي زيارة هذا البلد رغم ما يتيح لي من فرص سابقة، حيث أنه لم يكن محظوراً زيارة أوروبا ولم يكن من الصعب الحصول على تأشيرة دخول. وأذكر على سبيل المثال أن عمى يعيش في كاليفورنيا وقد دأب على دعوتي لزيارته ولكنني لم أرغب في الذهاب إلى هناك. وكان لدى شعور يستحوذ على بأن ثمة تغييرات جوهرية سوف تحدث في العراق ورغبت في مشاهدة هذه الأحداث من أولها ومباشرة. ولم يكن اتخاذ هذا القرار أمراً سهلاً لأنه كان يعنى ضياع فرص كبيرة متاحة لي. ولكنني أعتقد أنه كان قراراً سليماً. فقد عاصرت تجربة أحداث السنة الأخيرة وأنتجت هذا الفيلم وحصلت على تقدير كبير من أناس يمثلون أهمية كبيرة بالنسبة لي. ولقد غادرت العراق لأول مرة هذا العام فقط لحضور مهرجان برلين السينمائي".

### التعليق

نبح الكثيرون من الأشخاص التي شملتهم مقابلاتنا في إرساء علاقات تعاون مع مؤسسات أجنبية واضعين بذلك نهاية للعزلة المؤلمة التي فرضت على العراقيين أثناء حقبة الحظر. واتباعهم هذا النهج يكون العراقيون قد حصلوا لأنفسهم في إطار هذه العلاقات المتطورة على وضعية المتلقى للفوائد والدعم — وكمثال على ذلك حالة الأبطال الرياضيين الذين دعتهم اللجنة الأولمبية للحضور إلى كولونيا حيث توفر لهم تسهيلات أفضل في التدريب وأيضاً الصحفيون الذين دعوا للالتحاق بدورات تدريبية تنظمها وسائل الإعلام الغربية مثل BBC و CNN و Deutsche

Welle. إلا أن عدداً كبيراً من الاتصالات كانت تحمل طابع الأعمال، وذلك عندما ينظر إلى العناصر الفاعلة الغربية على أنها ليست عوامل مساعدة في المقام الأول وإنما كشركاء أعمال. وكما تبين بوضوح الأمثلة الواردة في الفقرة 1/3/4، فإن العديد من العلاقات المتطورة هنا هي علاقات شركاء يسعون إلى تحقيق مصالح أو فوائد واضحة لها صفة الشفافية. والدخول في علاقات تعاون عبر الحدود من الممكن أيضاً أن يسهم بفعالية في ترسيخ طبقة متوسطة وتنمية مجتمع مدني كشرريك للدولة واثق من نفسه ومتطور — خاصة منذ أن ثبت من واقع ما كتب عن مسألة الهجرة، أن اهتمام العراقيين بالبقاء في بلدتهم يفوق أى رغبة في الرحيل عنه. والواقع أن الرفض الحماسي للهجرة من قبل هؤلاء الصامدين المصممين على البقاء في بلدتهم يسهل فهمه إذا ما وضع المرء في اعتباره الموارد الثقافية والمالية التي تتبدد مع كل موجة هجرة — منذ احتلال العراق في أبريل 2003 رحل من البلاد ما يزيد على 600.000 عراقي من بينهم العديد من الأطباء والأكاديميين والخبراء. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن الهجرة لا تعد فقط من أعمال الخيانة أو إدارة الظهر، وإنما هي تجلب أيضاً لوطن المزيد من خيبة الأمل والإفكار.

### كيف يتم تقويم حاضر ومستقبل العراق كجزء من الخطط الحياتية للمواطن؟

من الممكن تلخيص السمات التي ميزت الموقف في بغداد خلال صيف/خريف 2004 بأنها تمثلت، من ناحية، في اتساع الحريات في أعقاب سقوط النظام، ومن ناحية أخرى، في انعدام الأمن وتدهور مستوى الإمداد بالسلع التموينية ( انظر التفاصيل في الفقرة 1/3). وليس مستغرباً بعد ذلك أن ينعت جميع الأشخاص الذين قابلناهم النقص الحاد في السلع وتداعي الموقف الأمني في بغداد ووصفهم لكلا الوضعين بأنها مشكلات " عسيرة " و" قاسية " وصعبة " و" مؤلمة ". وفي أثناء المقابلات لم يتطرقوا إلى التفاصيل بشأن تدرى الأوضاع بصفة عامة وظلت تعليقاتهم موجزة وعمامة. وأيضاً فيما يتعلق بالسياسات الأمريكية فإنها لم تناقش بعمق.

ولكن بدلاً من غياب التقويم على الإطلاق، نجده ورد عبر مسألة مستقبل العراق وعملية إرساء الديمقراطية في هذا البلد. وعلى عكس التقويم السلبي المتوقع للموقف الحالي على صعيد الحياة العادية، فإن الآفاق المستقبلية للعراق ينظر إليها بإيجابية متعاضمة — حتى وإن كان معظم الأشخاص الذين قابلناهم يسلّمون بأنه ستكون هناك بالتأكيد فترة غير محددة من التعلم والجهد والتغيير تفصل بين الحاضر الكئيب والمستقبل المشرق. وكما يتضح من المقترقات التالية فإن أساس هذا التقويم المتفائل يدل على الإيمان الثابت في الشعب العراقي وقوته وذكائه وقدرته على تحطى الأزمات والثغور على حلول للمشكلات التي تواجهه:

"أنتى أتوقّع أن أشهد في المستقبل العديد من الأشياء الجميلة — حتى وإن كان ذلك فقط لأننى واحد من الذين يعملون من أجل تحقيق هذه الأشياء. إن مدينتنا باتت اليوم بين أيدينا وعلينا أن نبدل من جانبنا الشق الأعظم من الجهد. ويسودني اعتقاد راسخ بأن هذا الجيل سوف يفوق ما يبذله من عمل ما يجنيه من سعادة، ولكن من ناحية أخرى فإن الجهد الذى يتعين علينا بذله هو نفسه مصدر سعادة وشرف أيضاً كبير. أنتى أتمنى بحق أن تكمل جهودنا جميعاً بالنجاح. وحتى إذا تعذر علينا نحن الاستمتاع بهذا النجاح، فمن المؤكد أن هذا النجاح سيكون من نصيب من سيأتون من بعدنا. وفي الوقت الراهن يكفي أن نزرع زهرة — ففي نهاية الأمر لم ترزع في الماضى سوى الأشجار الشائكة!"

أما "ك." فقد كانت له وقفة أكثر انتقاداً ولكنه مقتنع بالنتيجة النهائية نفسها: "أني لست متفائلاً بالنسبة للأجل القصير ولكنني مقتنع بأنه مع الوقت سوف تتحسن الأمور. فالشباب العراقي منفتح ومهيباً للأفكار الجديدة. والواقع أن السبب وراء استمرار وجود مشكلات تحول دون تربية الشباب سياسياً يرجع إلى الموقف الحالى المتختم بالتوترات والإضطرابات، وتدني مستوى التنمية الاقتصادية والخلل الأمنى. ولكن كل ذلك سوف يتغير أيضاً في الأجل المتوسط وعندئذ سوف تنبت التربة السياسية للشباب مزيداً من الثمرات. وعندئذ أيضاً سوف نرى الشباب من الشعب العراقي وهو ينخرط بهمة ونشاط في بناء دولته ويشارك في عملية تكوين الإرادة السياسية. وأستطيع أن أتخيل جيداً أنه في غضون ربما عشر سنوات سوف يكون في استطاعة الشباب العراقي التظاهر هنا، والخروج إلى الشوارع في مظاهرات بشأن قضايا تخص دولاً أخرى تقع على مسافة بعيدة.

وفي هذه الحالة فإن المراسل الصحفى S يدللاً من أن يستولى عليه التشكك يبدو مفعماً بالحماس: " رغم الموقف المروع السائد هنا حالياً والصورة القميئة المنطبعة لدى العالم عن العراق — حتى وإن كانت صحيحة في جزء كبير منها — فإننا مؤمنون تماماً بأن عراق المستقبل سوف يمثل نموذجاً بل ويحتمل جداً نموذجاً دولياً. ففي نهاية الأمر كل الشروط اللازمة لذلك متوفرة: الشعب يريد التغييرات وينشد إصلاحات جوهرية في جميع مجالات ومناحي الحياة؛ والأكثر من ذلك أن هذا البلد يملك كما هائلاً من الموارد والفرص وينعم بمثقفين وموهوبين وشعب قادر. والأخطاء التي ارتكبتها في الماضي يجب أن تحصنها من تكرارها مستقبلاً. وفوق كل ذلك، فإنه من المقدر لنا أن نغير ونطور ونقدم نموذجاً ناجحاً للمنطقة بأسرها. ولهذا السبب، يسودني اعتقاد أكيد بأن العراق سوف يكون مفتاح هذه التغييرات والإصلاحات. وإذا أقول ذلك، فإنني أعنى هؤلاء العراقيين الذين تحفزهم دوافع واهتمامات على التغيير والتنمية ".  
والصحفى R يستطرد بقوله: "إنني متفائل للغاية بشأن مستقبل العراق. فالعراق سوف يثبت للعالم أجمع أنه مهد للحضارة والثقافة. (..) وشعبنا سوف يعيش حالة من الديمقراطية والسلام، وسوف نكافح ضد الإرهاب حتى الموت."

وتعقيباً على ما أورده S في فقرته، أود أن أشير إلى " أن مجمل التقويم الإيجابي للمستقبل يستند بدرجة كبيرة إلى التقويم الإيجابي جداً للقدرة التي يتحلى بها الشعب العراقي في مجال حل المشكلات والذي بات يمتلك بين يديه زمام الأمور، أو بمعنى آخر، أن مصير هذا البلد لا تقرره ظروف أو زعماء، وإنما الشعب نفسه. ومن الطالع الحسن، فإن أفراد هذا الشعب يبدون وكأنهم مصدرنا للأمل والثقة بالنفس وإن كانوا في الوقت ذاته، هم، من وجهة نظري، لا يمكن تصنيفهم من الناحية الواقعية كمنقذين مثاليين للوطن".

فعلی سبيل المثال، جاء على لسان Z: "هؤلاء الناس (الأرهابيون) في الغالب يستهدفون المجموعات العرقية أو الديانات الأخرى ولكنهم في الحقيقة لا يعتقدون في داخلهم أنها تشكل بالنسبة لهم مصدر قلق. هم بالأحرى يريدون فقط الأستفزاز وإثارة المزيد من الصراعات. ونحن نشكر الله عز وجل أن شعبنا لديه من الحنكة والدراية ما يكفل حمايته من الإنزلاق إلى شيء من هذا القبيل... وهو بذلك يحاول التعبير عن فصل "الشر" مثالياً عن هوية الشعب العراقي وهو ما يجعل أيضاً لديهم مناعة ضد النقد. وهذا التعليق يتجاهل الحقيقة القائلة بأن هؤلاء المنخرطين في صراعات وعنفت وتطورات سلبية لا ينتمون إلى مجموعات في الخارج فحسب، بل هم من

الشعب العراقي نفسه.<sup>4</sup> وثمة مفهوم خاطئ مماثل للحجبة العراقية التي مفادها أن الصراعات الدائرة بين الأكراد والشيعية والسنيين هي في الواقع من صنع وتخطيط وسائل الإعلام الغربية.

## الخاتمة

وعند هذه النقطة، أود أن اختتم عرض الفقرات والنتائج المستخلصة وأنتقل إلى بعض الإستنتاجات التي تم استقضاؤها من الملاحظات سالفة الذكر. والهدف من ذلك هو التركيز بصفة خاصة على تنمية المجتمع المدني ومعطيات تعاوننا مع الشركاء العراقيين. أولا فيما يلي تعقيب موجز على جدوى النتائج من الناحية المنهجية:

### ملاحظة أولية بشأن الجدوى المشار إليها

جدير بالذكر أن الدراسة البحثية قيد التناول والتي تتعلق بتشكيل السير الحياتية للعناصر الشابة في العراق ببساطة لا يمكن تعميمها. ذلك لو أننا كنا نرصد هدف التعميم، كنا، على سبيل المثال، قد قمنا بإتباع أسلوب مختلف في إختيار تلك المجموعة من العراقيين الذين شملتهم المقابلات ممن تراوحت أعمارهم بين 18-35 سنة، علاوة على إجراء مقابلات مع عدد أكبر والأهم من ذلك تقنين الإجراءات المتبعة في هذه العملية. وإذا وضعنا في الاعتبار إطار الإجراء النوعي، نجد أن صلاحية النتائج يمكن قياسها بمدى ما تحظى به التعليقات والتصريحات التي تم الإدلاء بها من قبول وعقلانية يتأتى للمتلقى بفضلها تقرير ما إذا كانت ستلقى لديه استحسانا من عدمه. وبالإضافة لذلك، تقاس هذه الصلاحية أيضا بما تحققه التوصيات التي تقترحها هذه النتائج من استفادة.

وهذا المشروع البحثي قد تم تصميمه بغرض الوصول إلى فهم أعمق لنماذج العمل والتقويم والحفز على صعيد الشباب في بغداد وبالتالي استيعاب العمليات التي يتسنى لهم من خلالها خوض تجربة شخصية ذات هدف لتخطيط حياتهم. أما هدف التعميم، فهو يمكن العمل على إرسائه في شكل المزيد من التدقيق والتحميص لهذه النوعية من الدراسات والأبحاث وذلك بواسطة تطبيق الأساليب والطرق الكمية.

إن الأحاديث قد جرت في شكل مقابلات عامة بما أسفر بالتأكيد عن التعبير بصورة أقوى عن المثاليات التي تخص الذات والشعب والثقافة وما إلى ذلك. والإتجاه المؤيد لتقدم أجوبة لا تشترط المصادقية في سرد الحقائق بل بدلا من ذلك تعكس تحديدا "رؤية اجتماعية مرغوبة" لا يمثل إحدى الإشكاليات المدرجة في هذا البحث ولكنه بالأحرى يعد بمثابة مشكلة منهجية عامة في سياق البحث الاجتماعي يركز الاعتماد فيها على إجراء مقابلات مع الناس باعتبارها وسيلة لجمع المعلومات. وإذا حاولنا تفسير المعلومات المقدمة من خلال هذه الدراسة، يتعين افتراض أنه نتيجة البث عبر وسائل الإعلام العامة لهذه المقابلات، بات هذا الإتجاه رغم ما سبق محسوسا على نحو موسع.

### إرساء المجتمع المدني

أثناء المقابلات، صادفنا، من ناحية، جيلا من الشباب النشط، الموجه نحو الهدف، والمتحرر الذي، من منطلق ريادته للمجتمع المدني، يبعث الأمل؛ فهو لديه مصالح ويعمل على تطويرها،

وليس هذا فقط، بل يتابع تحقيقها بثقة وحب (القسم 2/4). علاوة على ذلك، يمكن للمرء أيضا أن يلمس وجود رغبة واضحة من جانب هذا الجيل تجاه تحمل المسؤولية الاجتماعية على المستوى الفردي، وعلى نفس النحو، يعهد بمسؤولية تطوير مستقبل البلاد إلى "الشعب". ولن يتأتى تحقيق التزام ومشاركة المجتمع المدني في غياب تلك القدرات والمواقف.

ويجوز القول بأن تنظيم حياة الفرد على نحو يجعل سماها الثقة والسرعة وتقرير المصير (القسم 3/1/4)، بما يسهل سرعة التجاوب واتخاذ القرارات التي تتسم بالشجاعة من الممكن أن يتزامن مع نوع من الأناية التي تستبعد أى تفاعل ملزم وطويل الأجل مع مؤسسات الدولة. ذلك أن "التوجه بجلاء" نحو الشعب - باعتبار أن أبناء الجيل المشار إليه هم القائمون على الأنشطة المهنية والمعبرون عن الآمال السياسية - ينطوي في حد ذاته على "تحول بعيد" عن الدولة، والمضى على طريق حياة بمنأى عن مؤسساتها.<sup>6</sup>

ووفقا للأبحاث التي أجريت في مجال العلوم السياسية، ينظر إلى انعدام الترابط بين هياكل الدولة وتصميمات الحياة الفردية (كما ورد ذكره في القسم 3/1/4) على أنه يمثل مشكلة تتعلق بالتطوير حيث "أن مستوى تطور مجتمع ما يقاس بمدى قدرة الوحدات الوسيطة على تفعيل الإرتباط بين الفرد/المؤسسة/الدولة". (فين وماترك، 1997، ص 41). ويبدو جليا أن الديناميكية في العراق تعتمد على كل من تنمية المجتمع المدني ومسألة ما إذا كان التفاعل بين الدولة والمجتمع المدني/المدينين يمكن احياؤه عن طريق تنفيذ آليات تعمل كمحور تواصل على أساس من العلاقة التبادلية.

وعليه، ففي حالة الإستعانة بهذه الدراسة بوصفها أساسا للنظر إلى مستقبل المجتمع المدني على أنه مشارك متكامل في عملية التطوير عبر المجتمع ككل، يتعين الاهتمام بمعايرة الجوانب المحتملة والمهمة في هذا الصدد. وتبرز الأسئلة عما 1) إذا كان الشعب سيوافق، كخيار مقبول وجذاب في الأجل المتوسط، على التنازل عن مستويات الحرية الفردية لصالح السلطة الجماعية والأمنية؛ و2) إلى أى مدى ستخوض الدولة تجربة التغييرات الفكرية المكتملة وأن تعاصر المخراط المجتمع المدني كشريك، أو بمعنى آخر، تطور مستوي التجاوب الواجب توافره؛ و3) وما إذا كانت الهياكل الوسيطة المطلوبة سيتم ارساؤها قبل حدوث توتر في العلاقة مرة أخرى (شميت، 2003، ص 23 - 25).

### آثار التعاون

وفي إطار تعاوننا مع زملائنا العراقيين، أثبت شركاؤنا حماسا والتزاما مثل ركنا اساسيا في النجاح الذي أحرزناه؛ إذ أنه بدون رغبتهم في الألتزام بصدق، لم يكن من المتصور توسعة نطاق ونتاجية مشروعاتنا على هذا النحو المطرد. وفي الوقت ذاته، شرعنا في وضع هذا التجاوب في الاعتبار ودمجه في خططنا. وعلى صعيد مشروع الإشراف على الانتخابات، على سبيل المثال، عمل 20 مراسل من 12 إقليم عراقي ببرنامج إذاعي يومية قام بإنتاجه وتقديمه في برلين زملاء ألمان وعراقيون، ثم بثه على مستوى القطر من خلال خمس محطات أف أم محلية. وقد غطت المرحلة التحضيرية مدة 4 أسابيع!

وإذا اعتبرنا التعليقات الخاصة بتطور المجتمع المدني (2/5) توصيات عمل في إطار التعاون على صعيد المشروع، أصبح تحقيق الاستقرار واضفاء طابع المؤسسية على العلاقات المزمرة في سياق آفاق تخطيط طويلة الأجل هدفا منشودا.

وتصميما لمضمون المشروع، يكون من المفيد التركيز بشكل محدد على وظيفة البرامج كواجهة أمامية. ما هو الشكل الذي تكون عليه الميديا (وسائل الإعلام) في حالة عملها بفاعلية كنقاط التقاء للتواصل المتبادل بحيث تربط بين العملية السياسية والمجتمع المدني؟ وفي المستقبل، سنرتب لوضع هذا الأمر بوضوح أكثر ضمن منظومة مشروعنا من حيث مفهومه وتصميمه.

### الحواشي

- 1 في العراق، للرجل والمرأة ظروف، ودوافع، وأهداف تشكل حياة كل منهما. ولضمان فاعلية النتائج التي تم التوصل إليها في هذا الشأن، تم تحليل المقابلات التي أجريت مع السيدات، كل على حدة، على نحو منفصل عن تلك التي شملت الرجال. وهذه الدراسة تغطي فقط تلك المقابلات التي تمت مع الرجال.
- 2 أرقام مصدرها عبد الظاهر الهنداوى المتحدث باسم وزارة التخطيط من خلال حديث إذاعي أجرى معه في صيف 2004.
- 3 وردت هذه الأرقام على لسان عبد الظاهر هنداوى المتحدث الصحفي باسم وزارة التخطيط أثناء حديث إذاعي أجرى معه في نوفمبر 2004.
- 4 وليس من باب النقد، فإن تصوير "أفراد من الشعب" على أنهم مثاليون يعرض للخطر الجهود الرامية إلى مواجهة الماضي و الإقدام على عمليات المصالحة اللازمة.
- 5 أعد البحث المقدم هنا أثناء إجراء التقييم النموذجي للمشروع، وهو لم يقدم كمشروع بحثي مستقل بتمويل ذاتي، مما ترتب عليه أن يكون نطاقه محدودا.
- 6 ينظر إلى الأسرة في هذا المضمار على أنها كيان ذاتي موسع، رغم ما يبدو من شبهة زلزلة الوشائج الأسرية هي الأخرى تحت ضغوط الأزمات الاقتصادية، والفرد حينذاك يتصرف ويتعامل على أنه وحدة مستقلة قائمة بذاته.